الحسناء

الجزء التاسع المجلد الاول

بيروت في ٢٠ شباط سنة ١٩١٠

ماري لاين

ليست الشريفة من فاقت غيرها بالحسن والجمال وتقول لناس اعبدوني ولا غيرة الجنس اللطيف من تمثي اختيالاً وتتيه دلالاً ولسان حالها يقول عظموني . ولا التي تملك القناطير من الذهب الرنان وتلبس الفخر الثياب وتتحلى بالنفس الحالي واثمن الجواهر ثم تنظر الى بنات جنسها احتقاراً . وليست العظيمة من تتباهى باثيابها المراقص واندية القمار في حين انها تهمل امر بيتها وتربية اولادها استخفافاً منها وتكبراً . فيحرمون من الحنو الوالدي ومن لذة الاجتماع العائلي . ففضلى النساء من تحلت بحلى الاداب وحسن الخصال وخيرهن من فاقت غيرها بالفضل والكمال . واكرمهن من تزينت بالتقوى والطهارة . بل اشرفهن من افنت صباها في خدمة العلوم وكرست حياتها في خدمة بنات جنسها ورفع شانهن واستخدمت قواها ومواهبها لخير العموم

فحري بسيدة كهذه ان ينقش اسمها على صفحات القلوب تكريماً لها وتعظيماً . وجديرة بان يترصع بذكرها التاريخ على مدى الاجيال والقرون . حفظاً لاسمها وتنشيطاً لامثالها

ولما كان مبدأ مجلة الحسناء الغراء خدمة الجنس اللطيف وتنشيطه : فتزين صدرها عند ظهورها بذكر شهيرة من شهيرات النساء صوناً لذكرها من الفناء

ولتكن خطة حسنا. لسيدات العصر . رايت ان اطرف القارئات العزيزات بطرف من سيرة سيدة شريفة في مبدإها وعظيمة في افكارها . لم تمتز بخوضها المعامع فذلك ليس من خصائص السيدات ولا في مداخلاتها السياسية والاشغال الرجولية فهذا ايضا ليس من علائقها . ولم تشتهر بالغنى والثروة الطائلة بل خدمت وفعلت فعلاً نافذاً دون جلبت او قرقعة

اشتهرت في العالم الجديد وعُرفت في ارض الغرائب فاعترف بفضلها الكبير والصغير لانها خدمت وطنها بتثقيف عقول بناته فقدرها مواطنوها حق قدرها وذكروها بالاعزاز والاكرام . فاي اميركي لايعرف اسم الانسة ماري لاين التي اظهرت ومثلت قوة الصلاح الفطري بكل معانيه ومحبة عمل الخير في حياتها واعمالها. فقد قيل فيها ان حياتها كانت مثالاً وكنزاً ثميناً لبنات جنسها . اذ اضرمت في قلوب الفتيات رغائب جديدة بعد نيل المعرفة وشخصت قيمة الحكمة والآداب الراقية . وبينت فعل التأثير الديني في تنظيم السلوك واصلاح السيرة . وبرهنت ان وجود خوف الله في المدارس من اي نوع كانت تنير العقول وتعزي القلوب وتجلب لها البركة والنجاح

اشتهرت ماري لاين بكونها المؤسسة لمدرسة مونت هليوك الشهيرة للبنات المعسرات اللواتي لايستطعن لضيق ذات اليد الدخول الى المدارس العليا فتقبلهن بدفع رسم قليل على قدر الطاقة . وهي اول مدرسة انشئت من هذا النوع وهكذا بسعيها واجتهادها شيّدت معهداً علمياً تهذب وتخرج فيه نخبة كبيرة من البنات الاميركيات انتشرن في كل انحاء العالم للتعليم والتبشير فكنّ نوراً وبركة لبنات جنسهن في كل الاقطار . وبعدل كتب على قبرها بعد وفاتها اية الحكيم الشهير « اعطوها من ثمر يديها ولتمدحها اعمالها في الابواب

ولدت هذه الفاضلة ماري لاين في مدينة بوكانيه من مساتشوستس في

الولايات المتحدة في ٢٨ شباط سنة ١٧٩٧ وهي الخامسة بين سبعة اولاد . ولم يكن والداها من ذوي الثروة والغنى لانها بعد موت والدها وهي بعد صغيرة السن اضطرت مع بقية اخوتها ان يكدوا ويشتغلوا لتحصيل معيشتهم . ولكنهما كانا غنيين في الصفات القويمة والمبادئ الحسنة فربيا اولادهما احسن تربية وهكذا تركا لهم ميراثاً ثميناً وثروة تفوق الكنوز الارضية . فقد امتاز ابوها بدماثة اخلاقه وضبط نفسه ولين عريكته ولطف معشره واشتهر بمحبة عيادة المرضى واسعاف الضعفاء . وامها كانت شديدة الذكاء كثيرة التقوى . فورثت مارى كثيراً من الصفات الحسنة الجميلة التي كانت اساساً متيناً لمستقبلها المجيد . لان فائدة التربية الصحيحة واساس التهذيب لاتنكر . وان لم يُعرف اية صفة هي الموروثة فمجرى التأثير لذيذ الطعم وذلك بسبب وضع الملح ولو قليلاً في اصل منبعه فالعطشان متى شرب منه يشعر بطعم زكي لذيذ دون ان يدرك من اين جاءت له هذه اللذة ان كان من مجراه او من اصل النبع . وهكذا نشأت مارى واشتهرت بسلوكها الحسن النادر المثال بين اترابها فكانت سليمة الطوية انيسة المعشر لطيفة محبوبة من الجميع وفوق ذلك امتازت بذكائها الغريب ثالث لاكتساب العلوم والمعارف بنشاط دون ان تعرف الكلل او يسومها الملل .

فلما بلغت سن السابعة ترددت الى المدرسة فادرك معلموها ولاحظوا ما كانت عليه من الذكاء وقوة الادراك . فقالت احدى معلماتها يوماً اني احب كثيراً ان اعرف ماذا يحصل منها لو تسنى لها الدخول الى احدى الكليات . بيد انها قد اكتسبت عدة معارف وفوائد من اخوتها الكبار . ولما كانت في سن الثالثة عشرة تزوجت امها وانتقلت مع والديها الصغيرين الى بلدة اشفيلد واخواتها الثلاث الكبيرات تزوجن ايضاً . اما هي فظلت مقيمة مع اخيها

الكبير تعتني بخدمة البيت الى ان كانت سنة ١٨١٧ حيث اتيح لها الدخول الى مدرسة سندرسن . فكانت احسن مثال لكل رفيقاتها في اداببها وامتازت باجتهادها في دروسها لانها لم تكن تعتمد على ذكائها الطبيعي فقط . وهذا سرٌ من اسرار نجاح كل فتاة بل كل شخص في العالم اذ لا تكفي له النباهة والذكاء وقوة الذاكرة بل متى اقترن مع هذه المواهب والصفات الطبيعية السامية حسن الاجتهاد والمواظبة مع لين العريكة والدعة نال ما يتمناه من الرقي الصحيح ورفعة الشان (فتأملي ايتها الفتاة التلميذة في هذه النقطة المهمة ان كنت تبغين النجاح المرغوب)

فبحسن سلوكها واجتهادها اوجدت لها اصدقاء اصفياء اثرت فيهم تأثيراً عظيماً فاخذوا بناصرها وشجعوها على تحصيل العلم والمعرفة وراؤا فيها جوهرة نفيسة غير انها خشنة تحتاج الى صقل وجلي حتى يشعَّ لمعانها البهي . فشددوا عزمها ولم يملوها حينما عزمت على ترك المدرسة لسبب احتياجها المالي بل منعوها من ذلك ومدُّوا لها ايدي المساعدة . فأثر فيها هذا الصنيع الجميل الذي جاء طبقاً لمشتهى قلبها واماني نفسها وعزمت حينئذ على ان تكرّس وقتاً من حياتها لخدمة بنات وطنها في التعليم . ولذلك لم ترفض هذه الخدمة حينما رشحت لها ولا تأخرت عن الذهاب الى حيث شعرت بانها تكون مفيدة

ولما كانت مقتصدة في معيشتها وحكيمة في مصروفها كانت توفر كمية تتمكن بواسطتها من الذهاب الى المدارس الكبرى في الفرص الموافقة وتأخذ درساً في الفرع الذي لم تتقنه وتقوي معارفها فيما تشعر بتقصيرها فيه . فما هذا المبدأ الجميل في افكارها وما هذه الدعة الفائقة . وما احسن ما نستفيده منها من المثائل الرائعة وهو تهذيب النفس وتقوية العقل في النقطة الضعيفة فينا . فمتى شعر كل فرد منا هذا الشعور الحلو ورقى نفسه هذه

التربية السامية تسمو الاعمال ولا سيما عمل المستخدمين في كل الاشغال .
فليس من عيب على من يشعر ويقرّ بضعفه بل العار على من يدّعي بالمعرفة وهي بعيدة عنه ويفتخر على اقرانه في حين انه عند الامتحان يوجد ضعيفاً ومقصراً

ومما يدل على دعتها انها حينما ارادت ان تتقن صناعة الخط كانت تذهب الى المدرسة وتجلس مع التلامذة اصغر منها وتمرّن يدها عليه حتى اتقنت خطها وقد طلبت يوماً من استاذها ان يكتب لها قاعدة جديدة فاخذ وكتبها لها باللغة اللاتينية اما هي فقالت له ارجوك ان تكتبها لي بلغتي الانكليزية لئلا متى راى اصحابي هذا يحسبونني اعرف اكثر مما اعرفه حقيقة وهذا ما لا اريده . فاندهش استاذها وسرّ من افكارها السامية ومن شدة ذكائها

فارست مهنة التعليم مدة في بلدتها يوكلند وفي غير اماكن ثم كرّست كل وقتها للعمل في مدرست ابسوك . وكانت واجباتها متعددة كمديرة مدرسة ويقتضي لذلك حكمة عظيمة . اما هي فكانت ممتازة باتحاد واختراع طرق جديدة موافقة ومقبولة من الجميع فنجحت المدرست في ايامها وبلغ عدد تلامذتها ١٩٠ تلميذة

ثم اتفق بعض الافاضل على تشييد مدرسة لتخريج وتنشئة الفتيات المتوسطات الحال خاصة ليكنّ عاملات في تهذيب فتيات الاجيال التالية وطلب منها ان تكون هي الساعية في ذلك غير انها ترددت في البداية بقولها انا نحتاج الى عقول حية وليس الى اقامة ابنية . ولكنها لم تبطء ان اعتقدت في حسن فائدة هذا المشروع الجليل وعكفت على السعي والعمل (بعد ان نفت من فكرها الزواج (اذ كان قد طلبها كثيرون) مفضلة خدمة العلم على الحياة الزوجية) ومع انها فشلت في مشروعها مراراً كثيرة لم يخر عزمها ولا يئست بل جدّت بنشاط وحضت وانهضت الهمم لمدّ يد المساعدة وكانت

تقصد اشخاصاً لم يقصدهم احد فنجوز بمبالغ . فاقبل على مساعدتها فريق كبير من اهل الخير والاحسان وعضدوها باموالهم وشدّدوا ساعدها على العمل . وبعد جهاد طويل واتعاب جزيلة تكلل سعيها بالنجاح واقيم ذلك المعهد الفخيم (وقد اصبح اليوم كلية من اشهر الكليات للبنات) وكان مؤلفاً من اربع طبقات يتسع ثمانين تلميذة وتمّ تجهيزه بكل ما يلزمه من الاثاث على الاتقان والترتيب مع مكتبة حاوية احسن الكتب للمطالعة . وفتحت ابوابه للطالبات في الثامن من تشرين الاول سنه ١٨٣٧ فاقبلن اليه افواجاً

فاستقبلتهن فيه بترحاب وبشاشة كما تستقبل الام ابنتها حتى شعرت كل تلميذة بمحبة خاصة لها . فساست الاعمال بحكمة ودراية تحيران العقول واثرت في تلميذاتها التأثير المطلوب وغرست في افئدتهن محبة العلم الذي هو اثمن من الذهب والفضة

ولما كان من مبدإها ان تقدم لهن وللجمهور شيئاً محسوساً رتّبت فيهن روح محبة العمل والخدمة فكنّ يقمن باشغال المدرسة ويتدربن على الاعمال المنزلية . فاستفدن من ذلك علم الاقتصاد وحب العمل فلم يعدن يستنكفن من الخدمة في بيوتهن متى خرجن من المدرسة (كما هو جارٍ الآن عندنا) ويلاحظ على بنات المدارس من كره الخدمة والعمل بعد رجوعهن الى منازلهن اذ يحسبن انفسهن ارفع من ان يشتغلن فيجعلن مجال الانتقاد وسيعاً عليهن ! وايضاً الرياضة والحركة الضرورية لحفظ الصحة وفضلاً عن ذلك الصيت الحسن لاسم المدرسة وشهرتها . ولم تزل دربتها محسن سياستها في ادارة المدارس خطة مفيدة لكل مديرة او رئيسة مدرسة

ومن التوفيق الالهي انها كانت ذات بنية قوية وقواها الحيوية في أحسن نظام . فمتعها بالصحة والقوة مكنها من القيام بخدمة نافعة واحتمال الاتعاب .

وكان عقلها في الذكاء بنسبة جسمها في القوة فصدق فيها القول المشهور « ان العقل الصحيح في الجسم الصحيح » فكانت بعيدة النظر تتصرف بالامور بحكمة وذات تأثير شديد متى تكلمت لان اعتقادها كان ان الحقيقة ينبغي ان تقال لا ان تعلم فقط كما قال احد الفضلاء . ولذلك لم تخجل ان تجهر بافكارها التي كانت تأتيها صريحة قطبي ثابتة في آرائها وتنسق أعمالها مع قوة الابداع والابتكار حتى ظنها البعض انها مكثارة وذات اوهام ولكنها لم تكن تهتم بما يقال عنها لانها فيما هي تجاري الاخرين بسرعة افكارها كان عندها عظمة نفس تترفع عن الاعجاب بالذات والافتخار على الغير فلم تحتقر من هو دونها ولاحسدت من فوقها بل كانت مثل دولاب صغير يحرك غيره فتؤثر فيهم وتقنعهم كأنها تحيك خيطاً من حرير وتجذب بها الاخرين فينقادون اليها دون معارضة وهكذا اشتهرت بحكمتها العملية فنجحت في حياتها اذ كانت تنظر دائماً الى الامام الى العلى .

ومما يحسن ذكره من صفاتها الباهرة انها لم تكن تؤجل عمل شيء ترى عمله واجباً في وقته . فمن تأمل في هذه النقطة بين التروي يراها من اهم الامور في سر نجاح كل شخص بالنظر لما يترتب عليها من حسن النظام وترويج الاعمال وتسهيلها

وبالاجمال انها صرفت حياتها الارضية باجتهاد وعزم شديدين فلم تكل عن العمل من الصباح حتى المساء بل هذبت نفسها وسلّت حسام النشاط واستعدت للجهاد في هذه الحياة . ولا يفوز بالمنى الا المجاهد . فمن حين كرّست حياتها لخدمة التعليم استخدمت كل قواها الخارجية والعقلية وحكمتها لخدمة الله وخير القريب . وشعارها كان ان « راس الحكمة مخافة الله » وهكذا فارقت هذه الدنيا وتركت لها ذكراً جميلاً وصيتاً حميداً عند كل معارفها وكل

من يسمع عنها وكانت وفاتها في الخامس من اذار سنة ١٨٤٩ واخر جملة نطقت بها وقد نقشت على ضريحها قولها « هل اخاف مما يفعله الله لنا ؟ كلا . فانه لا يخيفني شيء في العالم سوى ان لا اكون قد عرفت ما هي واجباتي في هذه الدنيا . او ان اكون قد قصّرت في اتمامها » .

فسيرة هذه السيدة تظهر الفائدة الممكن حصولها من السخاء والاجتهاد في تهذيب الفتيات فلولا مساعدة وتنشيط اصدقائها لم يكن بامكانها شخصياً ان تعمل كل ما عملته من الخدمة الوطنية فقد عرفوا مقدرتها فشجعوها وعندما نظروا في اخر حياتها الى اكليل النجاح الذي تزين به رأسها كان سرورهم عظيماً لا يقدّر . نعم انه لشيء زهيد وقليل ان يمد المرء يده حاملاً ضوءاً أمام سيدة غير ان هذه الخدمة الصغيرة تقودها الى مجال عظيم للعمل ومن يعلم ما ينتج ذلك من الخير للعموم . فأين . اين ايها المواطنون الكرام المدارس الوطنية للبنات ؟ اين الرجال المقتدرون علماً ومالاً وعملاً ليبدوا اراءهم ويقدموا مساعدتهم ؟ بل اين الذين ينظرون الى ذوي المواهب والاستعداد الطبيعي من شبان وشابات العصر الذين يتهمهم العصر المالي عن اتمام مقاصدهم السامية واظهار مواهبهم ؟ اين اولئك حتى ينشطوهم على السعي والاقدام على عظائم الاعمال ليخدموا البلاد فيكونوا لها نوراً وحياة لنهوضها في العمران المشتهى فتى كثر في الوطن وجود مثل هؤلاء المنشطين . متى شعر الوطنيون بوجوب تأليف وتأسيس جمعيات لعضد ومساعدة النابغين . الذين يرجى منهم خدمة الوطن ورفع شأنه . فبشره بنجاح وارتقاء اكيدين

وهذه بعض اراء الفاضلة ماري لاين اذكرها ختاماً لسيرتها الكريمة

لا تخربي ما عمله الله اي ما اعطاه الغير كي يعماره حتى ولا قشرة صنوبرة

لا تهبي شيئاً بدون قيمة حتى تكوني استخرجت منه كل عمل نافع . هذا هو

الاقتصاد الحقيقي

عطايانا يجب ان تكون بنسبة اقتدارنا وبنسبة ما تنفقه على انفسنا . مثلا هبة قيمتها عشرون غرشاً من سيدة قيمة وشاحها . ٥٠ غرش امر محزن وموجب للكدر كي تكون الامرأة زوجة صالحة لا ينبغي ان يسأل ما هو موجود معها بل ما تعمله تتمم الواجبات في البيت والمدرسة حسن استعداد لاجل تتميم واجبات الحياة في ما بعد تجني تكدير الاخرين . ضعي نصب عينيك صورة قلب وعقل وتربية ذوق وحسن سلوك كما يجب ان تكوني ثم اسعي انوال هذا القصد والغاية

لا تكوني شيئاً مخجلين منه اذا قرأته امام الناس او يجعلك ان تندمي على كتابته اذا تراودت في اختيار احد طريقين فاختاري التي تقتضي انكار نفس واجهاداً اكثر يجب ان نسلك سلوكاً يجعل الناس على ذكرنا بالخير عند غيابنا

لا ينبغي ان تكون قلوبنا طاهرة فقط بل يجب ان تكون اجسادنا نقية ايضاً . اي ان سلوكنا الخارجي يجب ان يكون خالياً من كل لوم

واجباتنا نحو الحقيقة ثلاثة وهي ان نسمع وان نقبل وان نطيع

ناموس الرب كامل . ومن مقتضياته مطابقته للمبادي البشرية الطبيعية واطاعة هذا الناموس ممكنة في المرض والصحة في الضعف والقوة . مناسب لحكمة الحكماء وفقر الفقراء في كل احوال الحياة . فالطاعة سهلة حيث العقل مرشد وعامل الطاعة وحتى كان الضمير خالياً من الاثم ومنارا بالروح فهو احسن مظهر لهذا الناموس الاجيد .

هيدا مريم زكا

المرأة الفاضلة من يجدها

هاجرنا الى الغرب وعاشرنا الافرنج . قدم الينا الافرنج بعضهم للكسب ولو بادخال الفساد وبعضهم لخدمة مصالحنا وخدمة شؤوننا . فبدأنا ان نعلم المرأة وابتدأت ان تشعر بقوى جديدة . فالعاقلة من النساء الشرقيات تطالب